رأي القدس

عملية ايلات تخترق المحرمات

■ جاءت العملية الاستشهادية التي نفذها الشاب محمد السكسك في منتجع ايلات، لتقطع على الحكومة الاسرائيلية احتفالاتها بالاقتتال الفلسطيني ـ الفلسطيني الذي اسفر حتى الان عن مقتل ثلاثين شخصا، معظمهم من الابرياء.

منفذ العملية، اراد من خلال توقيتها ومكانها، تذكير المتحاربين في التنظيمين المتصارعين، بان الصراع الدامي على سلطة وهمية لم يكن ابدا من اولويات الشعب الفلسطيني، وانما الاحتلال الاسرائيلي الذي هو مصدر كل المصائب التي يعانيها الشعب الفلسطيني.

العودة الى هذا النوع من العمليات داخل العمق الاسرائيلي، وبعد تسعة اشهر من الهدوء، تنطوي على درجة كبيرة من الاهمية، وتحتاج الى التوقف طويلا عندها ومعرفة الظروف المحيطة بها. فالسؤال الذي يطرح نفسه بالحاح هو حول كيفية وصول منفذ العملية الى ميناء ايلات في ظل التحصينات والاجراءات الامنية الاسرائيلية المشددة.

فمنذ العمليات الهجومية التي استهدفت سياحا اسرائيليين واجانب في منتجعات طابا وشرم الشيخ ودهب، في سيناء، تم وضع خطط تنسيق امني دقيقة بين الاطراف الثلاثة المعنية، اي مصر والاردن والدولة العبرية.

وهناك ثلاثة احتمالات حول كيفية وصول هذا الفدائي الى هدفه النهائي في ميناء ايلات، الاول ان يكون وصلها متسللا عن طريق سيناء، والثاني ان يكون عبر اليها من ميناء العقبة الاردني، والثالث ان يكون قد قطع صحراء النقب جنوبا منطلقا من قطاع غزة.

الاحتمالان الاول والثاني هما الاكثر رجحانا، لان قطع صحراء النقب عملية صعبة، بل ربما شبه مستحيلة نظرا لبعد المسافة اولا، والتحصينات الاسرائيلية الامنية، خاصة لحماية مفاعل ديمونا النووي الموجود في المنطقة.

ولهذا من المؤكد ان هذه العملية ستشكل صداعا امنيا للاطراف الثلاثة، المصرية والاردنية والاسرائيلية، لانها اثبتت ان حركات المقاومة قادرة على اختراق كل الاجراءات الامنية، والتفوق على واضعيها، من خلال ابتكار طرق جديدة غير متوقعة.

السيد زياد النخالة، نائب الامين العام لحركة الجهاد الاسلامي لم يكشف في البيان الذي اصدره تعليقا على العملية عن كيفية الوصول الى الهدف، واكتفى بالقول ان ذلك تم من خلال عملية معقدة «يمكن تكرارها ومفاجأة العدو من جديد».

الاثر النفسي لهذه العملية سيكون خطيرا جدا، لانها اي العملية، ستهز الثقة مجددا في الاجهزة الامنية الاسرائيلية، وستضيف تأكيدا جديدا على ان فصائل المقاومة قادرة على الوصول الى اي نقطة في العمق الاسرائيلي، مهما كانت محصنة، اي ان الاماكن التقليدية المستهدفة لمثل هذه العمليات، مثل الخضيرة وتل ابيب، لم تعد الجهة الوحيدة، وان النوايا تتجه الى اماكن اخرى كانت تعتبر آمنة مثل ايلات، ولهذا تدفق اليها الاسرائيليون والسياح اليهود من مختلف انحاء العالم، وهم مطمئنون بانهم سيقضون اجازات سعيدة هانئة.

هناك احتمال آخر ربما لم يخطر في بال الخبراء الامنيين، وهو ان يكون الشاب منفذ العملية وصل الى هدفه عبر الاراضي السعودية المحاذية لمدينة ايلات.

الاحتمال ربما يكون ضعيفا، لان استخدام الاراضي السعودية لتنفيذ عمليات فدائية ضد اسرائيل امر مستبعد وغير مسبوق، ولكن من يدري، وكل شيء جائز ومحتمل، واذا صح هذا الاحتمال فإن علينا ان نضع في اعتبارنا تحول الاراضي السعودية الى منصة لانطلاق المقاومة بعد سنوات من الهدوء والصمت، وهو التحول المفاجئ وربما الاخطر.

اوسلو حققت اهدافها

د. سهير ابو عقصة داود *

■ بدون أي تردد يستطيع المتابع للحالة المخيفة التي وصلت اليها المناطق الفلسطينية بأن يؤكد ان اوسلو نجحت اخيراً في ان تحقق الهدف الاسرائيلي التي حاولت بكل ما اوتيت من قوة ومنذ عقود سبقت حتى قيام الدولة انجازه ولم تستطع تحقيقه بالارهاب والحرب والاحتلال.

نجحت اسرائيل تحت قناع «السلام» فيما لم تحققه بالحرب. وكان عرفات، «الرمز الفلسطيني» قد قبل لعب الدور الذي رُسم له فسوّق وقاد معركة كان في النهاية احد ضحاياها. وللأسف لم يكن الاول ولا الاخير ولا الوحيد.

قال عرفات يرد على الانتقادات من كل حدب وصوب على اوسلو في حينها انه «افضل اتفاق في اسوأ الظروف». لقد خانته فطنته. كانت هذه بداية ابشع الظروف يذبح الفلسطينيون احدهم الاخر وتقود المعركة اطراف ضد اخرى وضد شعبهم وضد قضيتهم. وتبرز هنا الاسئلة: كيف انتهت الحالة الفلسطينية الى كل هذا الدم المراق والى كل هذا الجنون؟

كيف انتهينا الى اننا نشيع ابناءنا في مجازر تعودناها من اسرائيل ولكن ويا للعجب. اختفت اسرائيل فجأة عن المشهد الفلسطيني. اختفى الجنود، المستوطنون، الدبابات. اختفى الاحتلال. لا احتلال سوى لصوت البندقية توجه ضد الفلسطينيين كما دوماً لكن القاتل مختلف. طلقة ضد الذات. ولكنها ليست ضد الذات الفردية. انها طلقة ضد شعب وقضية ونضال وشهداء واسرى. ولكنها تختلف عن طلقات الماضي والتاريخ الفلسطيني لم يكن دوماً نظيفاً من التخلص من بعض رموزه حيناً ومن الاقتتال بين فصائله. الفرق انها حرب على ارض الوطن ولكنها ليست حرب التحرير. انها ليست حرب فصائل كما يشاع بين فتح وحماس انها حرب الشعب الفلسطيني ضد الشعب الفلسطيني ويا لهول ما وصل اليه الشعب الفلسطيني.

بلغ محمود عباس حداً من الجرأة ليست غريبة عن المشهد العربي هي جرأة معظم الرؤساء العرب وهم حتى لا يفتعلوا حتى التخفي خلف عباءات النفط اوخلف وجوه الدم الامريكية.

يتباهى بالدعم الامريكي والدعم العربي المتواطؤ بالملايين التي توصل السلاح والمال للموت والشعب جائع من حوالي عام ومحتل من اربعين عاما ومشرد من اكثر من نصف قرن. يتسابق لاحتضان كوندوليزا رايس ولاتخاذ الصور معها ويضحك. كيف يستطيع ان يضحك؟ وبلغ اسماعيل هنية حد الاسفاف وهو يتشبث بمناصب خلقها الاحتلال ويديرها في النهاية الاحتلال.

اين الشعب الفلسطيني واطفال الحجارة ليرجموا قياداتهم وفصائلهم وليعلنوا لهم انهم ليسوا اهلاً للقيادة وليذهبوا الى الجحيم، ليتبرأوا من فتح ومن حماس وليقولوا ان زمن هذه القيادات يجب ان ينتهي لأن وصول الامور الى ما عليه لا يمكن ان يغتفر. يدرك الجميع ان العالم متآمرضد شعب فلسطيني حر وديمقراطي. ولكن من الخطأ الاعتقاد بأن الحصار الاقتصادي منذ تولي حماس السلطة هو بداية المؤامرة. هو فقط احد حلقات المؤامرة.

خطأ ايضاً الاعتقاد ان ما وصلت اليه الامور هو نتيجة فقط لهذا الحصار الدولي وانه نتيجة تسببها عوامل خارجية، رغم اهميتها. القيادات الفلسطينية ـ للاسف لا توجد لهم بعد كل هذا النضال والتضحيات قيادة واحدة ـ هي مسؤولة اولاً واخيراً. ارادة الشعب الفلسطيني مسؤولة ايضاً وعليها ان تجبر قيادتها على وقف جرائمها والا فعلى الشعب الفلسطيني السلام.

* كاتبة فلسطينية ومحاضرة في العلوم السياسية كاليفورنيا

صراع السنة والشيعة المفتعل والتنازع على مقاعد «التايتانيك»

د. عبدالوهاب الافندي *

■ في منتصف الثمانينات، حينما كانت حرب الخليج بين العراق وإيران في أوج اشتعالها، دخلت الولايات المتحدة طرفاً في تلك الحرب بدعوى حماية دول الخليج من الخطر الإيراني. وأذكر وقتها حواراً دار بيني وبين مفكر إسلامي كان يدعم الموقف الخليجي ـ العراقي بقوة بحجة أن الشيعة أصحاب عقائد منحرفة وهم خطر يجب محاربته حتى إذا استدعى ذلك ممالأة أمثال صدام وريغان. فقلت لصاحبي: هل نفهم من ذلك أن الأساطيل الأمريكية قد جاءت إلى المنطقة لمحاربة البدع وإقامة السنة الصحيحة؟ أجاب الرجل قائلاً إنه لو كان له جيش لكان يومها في الخنادق مع صدام أو في البحر مع الأمريكان لمحاربة الشيعة المبتدعة، فليس هناك جهاد أولى من هذا الجهاد، ولا حتى الجهاد في فلسطين!

دارت الأيام وعادت الأساطيل الأمريكية إلى الخليج، ولكن هذه المرة لمحاربة صدام الدكتاتور المارق. ولا يمكن أن ألوم صديقي المجاهد في ثبات موقفه، لأنه كان أيضاً يقف وراء الأساطيل الأمريكية، ولكن هذه المرة لمحاربة صدام العلماني المعادي للإسلام والناقض للعهود. وفي الحالين كان هناك «دعاة» وأئمة يطوفون الآفاق ويعتلون المنابر في دعم الموقف إياه، والوقوف وراء ولي الأمر. وكانت الولايات المتحدة تهش لهؤلاء الدعاة وتطرب لمقولاتهم المؤيدة لصحيح العقيدة، والمحاربة لبدع الشيعة التي كانت ترى فيها أكبر خطر على الأمن والسلم في العالم، حتى أن ال «دعاة» إياهم أصبحت لهم مكاتب في واشنطن ومساجد في كل مدينة أمريكية كبرى.

ثم جاءت أحداث ايلول (سبتمبر) فغزو العراق، فانقلب كل شيء. الآن أصبح دعاة التوحيد المحاربون للبدعة «وهابيين» خارجين عن الملة، يطاردون في كل مكان ويلعنون من على كل منبر. أما الإسلام الشيعي الذي كان يوصف في الماضي بـ«الخمينية» ويهاجم من كل موقع، فإنه أصبح اليوم عنوان الاعتدال ومفتاح الديمقراطية. وأصبح اليوم يدعى للإمام علي السيستاني رضي الله عنه من على منابر واشنطن وصفحات نيوزويك والواشنطن بوست.

ومن يستمع إلى بعض مقولات المهللين لهذا الفتح الأمريكي المبين يكون معذوراً لو اعتقد أن الرئيس جورج بوش قد بعث بين يدي المهدي المنتظر ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، ويعجل بفرج آل البيت ويكبت عدوهم. وهكذا أصبح الجهاد اليوم كتفاً بكتف مع المارينز على مشارف كربلاء وعلى بعد خطوات من مراقد الأئمة هو الجهاد الأكبر الذي يأثم تاركه ويفوز من يتولاه. وأنعم بمن فتح الله عليه حتى يكون من جند الشيطان الأكبر الذي أصبح بقدرة قادر نصير الأئمة وسند أهل البيت.

تكفي نظرة عجلى على مثل هذه المصائر والمنقلبات حتى يرى من رزقه الله من العقل أقل نصيب أن الوقت حان للتوقف وللتأمل في حال هذه الأمة، ومسارعة كبار قادتها إلى التهلكة. فمن الواضح أن هناك خللاً كبيراً في التفكير يدفع الناس إلى ورود موارد لا يقترب منها عاقل. وكل ذلك نتيجة العكوف على النظرات الطائفية الضيقة، وعدم التدبر في العواقب.

ولا نريد هنا للحظة أن نقول أنه لا يوجد خلاف حقيقي بين الشيعة والسنة، فالخلاف موجود، وهو خلاف ليس باليسير. وهناك مفكرون يقللون من شأن هذا الخلاف، مثل الشيخ حسن الترابي الذي يقول إنه ليس بسني ولا شيعي. وإذا كان هذا الموقف النظري له ما يبرره كما سنوضح لاحقاً إن شاء الله، فإنه لا يحل المشكلة فيما يتعلق بالاستقطاب الطائفي القائم، لأن طرفي هذا الاستقطاب لا يقبلان الحياد، وسيتساءلان: هل أنت شيعي محايد أم سني محايد؟ (ويذكرني هذا بطرفة رواها سفير هندي سابق في بغداد عن أطفاله الذين أتوه بعد أول يوم لهم في المدرسة في بغداد يتساءلون: يا أبي، هل نحن هندوس شيعة أم هندوس سنة؟).

ولكن الخلاف شيء والصراع شيء آخر. فليس هناك ما يدفع المختلفين إلى الصراع، خاصة إذا لاحظنا في حالات الخلاف التي أشرنا إليها أن كلا الفريقين لم يكن فقط مستعداً للتعايش مع غير المسلمين ممن يخالفونه العقيدة إضافة إلى مناصبته العداء، بل كان مستعداً للقتال جنباً إلى جنب معهم. أفلا يسع إذن هؤلاء مع إخوانهم المسلمين ما وسعهم مع العدو البعيد، خاصة وأن المطلوب منهم ليس القتال إلى جانبهم، بل مجرد الكف عن قتالهم؟

وهذا يقودنا إلى نقطة افتعال الصراع الدائر اليوم والذي يكتسي طابعاً طائفياً عقائدياً. فنحن نقول بأنه صراع مفتعل لأنه لو كان هناك صراع ديني أو مذهبي لكان من هم أولى بالقتال هم المخالفون في الدين. ولكن الطائفية اليوم افتقدت تماماً أي بعد ديني، وأصبحت ظاهرة قبلية. فالانتماء الطائفي كما يتبلور في هذه الصراعات لا علاقة بالعقيدة من بعيد أو قريب. ذلك أن «الشيعي» (بمعنى من انتمى آباؤه إلى الطائفة وتربى في كنفها) يعتبر في عرف هؤلاء المتقاتلين جزءاً من الطائفة حتى وإن كان ملحداً لا يؤمن بالله ورسوله، فضلاً عن أن يكون من مساندي إمامة أهل البيت. أما «السني» (بمعنى الآخر) فهو مرفوض حتى وإن كان مؤمناً محباً لأهل البيت (ولا يوجد مسلم سني لا يحب أهل البيت ويتبرك بهم). وبالمثل فإن الصف السني يشتمل في عرف متولي كبر هذا الصراع على من انتمى إلى المعسكر المعني حتى وإن كان متطرفاً تكفيرياً، أو ملحداً أو علمانياً. وفي الحالين يتغاضى عن جريمة المجرم من أهل الصف ويغفر ذنبه، بينما تعظم جريمة الآخر مهما صغرت وتحمل طائفته كلها الجرم بحيث يستحل القتل لمجرد الانتماء لتلك الفئة. وهكذا يرتكب الكل الجرائم التي يخلد صاحبها في النار وهم يدعون اتباع منهج الدين.

يضاف إلى هذا صحة ما لمح إليه الشيخ الترابي في أن الخلاف القديم الذي أسس للانقسام السني الشيعي لم تعد له علاقة بواقعنا اليوم. فلا يوجد بيننا حالياً أئمة من أهل البيت ينتظرون دورهم في الحكم، كما لا يوجد أدعياء خلافة من بني أمية أو بني العباس يناصبونهم العداء أو يتولون اضطهادهم. وبنفس القدر فإن الروايات التاريخية عما ارتكب من كبائر في حق هذه الفئة أو تلك لم يعد بذي موضوع، وأن اجترار تلك الأحداث والمرارات كان له في الماضي دور في الدعاية الحزبية، ولكن لم يعد له اليوم دور أو وظيفة.

لقد اندثر اليوم ملك قريش بأميتها وعباسها وهاشمها، ولم يعد هذا أمراً يستحق الالتفات له أو النبش في خفاياه إلا للمؤرخين. وما يواجه السنة والشيعة معاً هو واقع جديد لاعلاقة له بذلك الماضي. فالصراع على السلطة في الدول الإسلامية هو بين مجموعات عرقية أو تيارات سياسية، أو بين المتدينين والعلمانيين. أما الصراع الأهم فهو صراع الاستقلال وتحرير إرادة الأمة، وهو صراع تساهم النزاعات الطائفية في خسارته، حتى وإن لم تؤد هذه الخلافات إلى انحياز هذا الطرف أو ذاك إلى المستعمر والمحاربة في صفه.

وإن من الانصرافية ما يقوم به البعض من تبشير طائفي لكسب الأنصار هنا أو هناك، لأن الأمر كما ذكرنا غير ذي موضوع. فالولاءات التي تتبلور ليست ولاءات دينية، وإنما هي عصبيات طائفية، والتزيد فيها يؤدي إلى المزيد من الاستقطاب وشق الصف. ولو كان الأمر أمر دين، لكان الأولى بالدعوة القسم الكبير من «الشيعة» في إيران والعراق ممن أداروا ظهرهم للدين، وهم يوشكون أي يصبحوا غالبية في إيران، وهم بالقطع الغالبية في المهجر، خاصة في الولايات المتحدة. والأقربون أولى بالمعروف.

إن التحديات التي تواجه الأمة أكبر من أن يتم الانشغال عنها باهتمامات انصرافية، وأمور تعمق أزمة الأمة وتخلق في وسطها انشقاقات جديدة نحن في غنى عنها. هناك خطر يتهدد اليوم إيران، وأخطار تتهدد السعودية وبقية دول المنطقة. ويجب كذلك أن ما سماه الكاتب ولي نصر النهضة الشيعية هي ظاهرة مهددة بدورها، لأنها جاءت على حراب الأمريكان، وهم أول من تنبه لخطرها. وستكون خطوتهم التالية هي العمل على تحجيمها، لأن مخططهم في ضرب إيران لن ينجح بغير ذلك. والمخطط الآن هو استخدام الشيعة لإخضاع العراق، ثم التحول لتحجيمهم. وفي الماضي كان الاستهداف والاستنصار يأتي على موجات. وهكذا كان هناك عهد طغى فيه الحديث عن خطر شيعي إيراني، ويستنجد فيه بالخارج ضد إيران، ثم تلا عهد أصبح الشيعة فيه هم من حباهم الله بنعمة رضى أمريكا وأصبحوا يتقربون إليها بسب الوهابيين المغضوب عليهم. ولكننا نشهد اليوم اندماج المرحلتين. فالأصوات تتصاعد مستنجدة بأمريكا من الهلال الشيعي، في نفس الوقت التي تتصاعد فيه أصوات أخرى تحرض أمريكا على الخطر الوهابي. ولا شك أن المدعو الأمريكي يرحب بإجابة هذه الدعوات، ولكنه سيختار بنفسه ترتيب الأولويات، وبمن يتغدى وبمن يتعشى، وبمن يفطر في اليوم التالي.

هناك مثل إنكليزي مشهور يقول عمن يشتغل بأمور انصرافية في وقت الشدائد: هذا كمن يرتب المقاعد على ظهر «التايتانيك». و«التايتانيك» التي اشتهرت مؤخراً بالفيلم الذي صور كارثتها هي بالطبع تلك السفينة الضخمة التي غرقت في مطلع القرن الماضي بعد اصطدامها بجبل جليدي وهي في طريقها من بريطانيا إلى أمريكا، وكان على متنها قرابة ألف شخص لن ينج منهم إلا القليل. وما نراه اليوم من صراع واستهداف طائفي هو أسوأ، لأنه تنازع على مقاعد السفينة الغارقة التي تقصف ليل نهار. فأي فائدة من غنائم كهذه؟

ليس هذا مجال الوعظ وتنبيه الغافلين والتذكير بقيم الإسلام والأخوة، لأن مثل هذا التذكير في الغالب لن ينفع. ولكن فقط نذكر بعاقبة من انتهج هذا النهج في السابق وما حاق به من خسار وندامة، وما أمر صدام منكم ببعيد. فمراعاة المصلحة الذاتية قبل مراعاة حقوق الله والعباد توجب الانتهاء عن هذا النهج الذي يجمع بين الإثم والضلالة، وضيق الأفق وقصر النظر، لأنه عاقبته الخاسرة تأتي بأسرع مما يتصور من يتورط هذه الورطة.

* كاتب وباحث سوداني مقيم في لندن

ماذا يعني تأزم الموقف الأمريكي في العراق بالنسبة لقضايا المنطقة؟

السنوسي بسيكري *

■ هزيمة الولايات المتحدة عسكريا وانسحابها من العراق أمر لايقبله حتى معارضو سياسة الجمهوريين من الحزب الديمقراطي ولكنها تبدو محققة في تقدير الكثير من المراقبين مهما استدركت الإدارة الحالية. إن لهزيمة المشروع الأمريكي تداعيات كبيرة على المصالح الأمريكية في المنطقة إذ أن كسر هيبة أمريكا يعني تراجع نفوذها وسيطرتها على قرار العديد من الدول الحليفة، وفقدانها خيوط اللعبة في المنطقة وأكبر من ذلك فإن للهزيمة آثارا دولية منها تهيئ المناخ الدولي لاحداث تغير في النظام العالمي الذي سيطرت فيه الولايات المتحدة على القرار الدولي منذ انتهاء الحرب الباردة وسيساعد على ذلك القيود التي سيضعها الرأي العام الأمريكي «الساخط» على سياسة التدخل بمختلف أشكالها خارج القارة الأمريكية في قابل الأيام، والنقطة الأخيرة بحد ذاتها تمثل قلقا كبيرا لصناع السياسة الأمريكية. لهذا فإن الهزيمة أمر مستنكر ومرفوض ويتفق الحزبان الرئيسيان على السعي لتلافيها والاختلاف يكمن في الوسيلة لتحقيق ذلك.

مما يتفق عليه الحزبان تحجيم تداعيات الإخفاق الأمريكي في المنطقة بحيث لا تضطر الإدارة الأمريكية (جمهورية أو ديمقراطية) إلى تغيير سياساتها التوسعية ومن ثم العودة إلى سقف لا يتعدى المحافظة على الأهداف الرئيسية في المنطقة والتي استصحبتها الحكومات المتعاقبة خلال العقود الماضية (تدفق النفط، ضمان أمن إسرائيل، دعم الحلفاء واحتواء الدول والمجموعات «الشاذة» بحسب التقييم الأمريكي) بعيدا عن مخططات المحافظين الرامية إلى تغيير الخارطة السياسية عبر التدخل المباشر والهيمنة على مصير المنطقة السياسي وحتى الثقافي والسيطرة على مقدراتها الاقتصادية.

الناظر إلى موقف البيت الأبيض من التطورات الحادثة في العراق منذ إجتياحه في آذار (مارس) 2003، يلحظ تغيرا كبيرا وسريعا في الخطاب بل وفي الأهداف والوسائل، وقد عكس هذا التذبذب ارتباكا ظهر على مستوى الموقف السياسي وفي ميدان العمليات العسكرية والموقف من المقاومة ومن التشكيلات السياسية ودول الجوار (إيران سورية). فبوش الذي بدا واثقا ومستعليا في مؤتمره الصحافي في نيسان (أبريل) 2003، وذلك في معرض الرد على احتمال بروز مقاومين للاجتياح الأمريكي وقوله متحديا «سنقول لهم أرونا ما لديكم»، يبدو هذه الأيام في قمة عجزه أمام المقاومة العراقية ويبحث في كل السبل والخيارات، بما في ذلك التفاوض، لوقف عملياتها وإنهاء تهديدها. أيضا كان من أبرز الأهداف المعلنة من الحملة الأمريكية دمقراطة العراق وإيجاد نموذج متحضر لدولة الرفاه في المنطقة، وظلت هذه المسألة ديدن بوش لتهدئة معارضي الحرب خصوصا بعد اكتشاف زيف مبررات الحرب الرئيسية وهي امتلاك العراق أسلحة دمار شامل وارتباط نظام صدام بالقاعدة. فاليوم وأمام حالة الإنفلات الأمني المريع والانهيار الاقتصادي والتناحر الطائفي لا يأمل بوش أكثر من احتواء الصراع ولملمة أطراف الأزمة التي اتسع فيها الخرق عن الراقع. وقس على ذلك الموقف من إيران وسورية اللتين مثلتا قطبين من ثلاثي محور الشر في خطابه في كانون الثاني (يناير) 2003، لينظر إليهما اليوم (خلف ستار كثيف من التعالي والكبرياء وضغوط من اللوبي الإسرائيلي) كمنقذين محتملين من المأزق المحتدم.

ليس أمام واشطن خيارات إيجابية والاختيار هو بين جملة من البدائل أفضلها لا يحقق الحد الأدنى مما تطلعت إليه وما فوق وفي أسوأها يكمن التهديد وتكمن المخاوف. فما بين البقاء في العراق ورفض التغيير في السياسة الأمريكية في المنطقة بشكل عام وانتظار معجزة!. وإن لم تحصل معجزة فكلفة البقاء تتعدى الخسائر في الأرواح والأموال في وقت تعاني منه الخزانة من عجز غير مسبوق، إذا يعني ذلك حتما خسارة الجمهوريين في الانتخابات الرئاسية التي ستجرى بعد عامين. البديل الثاني الانسحاب وتجرع كأس الهزيمة كاملة ومواجهة التعديات المترتبة عليها وهي خطيرة بالنسبة للأمريكان، والثالث الرضوخ لرأي الديمقراطيين وغيرهم لدعوة سورية وإيران مع إشراك الحلفاء الأوروبيين والصين وروسيا لإيجاد مخرج من الأزمة يقلل خسائر واشنطن المادية والمعنوية ويحفظ ماء وجهها، أي الاستنجاد بالغريمين اللذين تصدرا قائمة المستهدفين في مشروع التغيير وإعادة رسم الخرائط بعد العراق، والتنازل لخصوم استراتيجيين للمساهمة في ترتيب أوضاع ليس العراق بل والشرق الأوسط بعد أن سعى متطرفو اليمين المحافظ إلى إقصائهم بل ومحاصرتهم عبر مخطط الهيمنة على المنطقة!

يرفض كل من رئاسة البيت الأبيض ومكتب نائب الرئيس ووزارة الخارجية الحوار غير المشروط مع إيران وسورية ويرى هؤلاء أن على إيران وسورية رفع أيديهما عن العراق ووقف الدعم المادي والمعنوي لحزب الله وحماس، بالإضافة إلى وقف المشروع النووي الإيراني الأمر الذي ترفضه طهران ودمشق. غير أن الرياح تأتي بما لا تشتهي سفن بوش وتشيني وبعض من تبقى في دوائر صناعة القرار الأمريكي من المتطرفين الجمهوريين إذ لا تتوفر لديهم أوراق مهمة للضغط باتجاه مصالحهم، والعقوبات الذي فرضت على إيران والتي تضمنها قرار مجلس الأمن الأخير 1737، ذات أثر محدود ولا تلبي مطالب الولايات المتحدة إلا أنها لم تستطيع لي ذراع روسيا والصين ويمثل لها القرار ذريعة لزيادة عزلة إيران وممارسة مزيد من الضغوط عليها ولن تفلح. وترى إيران أن الفرصة مهيأة أكثر من ذي قبل للسير بخطوات سريعة تجاه فرض واقع جديد في المنطقة عبر تعزيز إمكاناتها العسكرية وتطوير علاقاتها خارج دائرة التسلط الأمريكي الأوروبي، تماما كما تراها سورية ويراها معارضو المشروع الأمريكي في المنطقة فرصة لرفع سقف المطالب الفلسطينية والسورية والتشبث بقرارات الأمم المتحدة 242، 338 ومحاولة جلبهما إلى طاولة النقاش أمام الفرقاء الدوليين عند البحث عن مخرج للأزمة بعد أن نجحت إسرائيل وخلفها الولايات المتحدة ولعقود في إبعادهما عن أية تسوية محتملة بين أطراف النزاع. فطهران ودمشق تدركان أكثر من غيرهما المستنقع الذي تغرق فيه الولايات المتحدة في المنطقة ويتطلعان إلى مد جسور مع منافسي الأخيرة في توجيه دفة القرار الدولي مثل الصين وروسيا اللتين تتبنيان استراتيجية لتعظيم دورها العالمي ونفوذهما في الشرق الأوسط. وإيران رابحة في حال نجاح الصين وروسيا في تعزيز موقعهما الدولي أو في حال أدركت واشنطن أن لا أمل في المحافظة على مكاسبها في المنطقة والتقليل من تداعيات هزيمتها العسكرية والسياسية إلا بالتفاوض مع طهران والوصول إلى حالة وفاق يضمن للثانية مكانا استراتيجيا في الشرق الأوسط الذي يبدو أنه يتشكل من جديد وليس وفقا للمخطط الأمريكي. إن علاقة إيران وسورية الوثيقة بقوة متمكنة في العراق وفي قلب الصراع العربي الإسرائيلي (حزب الله وحماس) تمنحانهما نفسا أطول في مواجهة الضغوط الأمريكية. فإيران لديها أوراق مهمة في العراق، وبالرغم من المأزق الحرج الذي تواجه حماس إلا أنها ستظل رقما مهما في حال استمرارها في السلطة أو حتى خروجها منها. أما حزب الله فيبدو أنه يحقق نجاحا نسبيا في قطف بعض ثمار انتصاره العسكري على الجيش الإسرائيلي ولا مؤشرات على إمكان تجريده من سلاحه وتقليص حضوره السياسي والشعبي كما تسعى أمريكا وإسرائيل. ومن الواضح أن كلا من روسيا وإيران تسعيان لإفشال مساعي أمريكا في عزلهما ويبدو أن هناك عزما روسيا لتوثيق الروابط مع الحليفين القديمين لتعزيز ثقل موسكو في المنطقة ومن ثم على الساحة الدولية. وهكذا تجد الدولة العظمى نفسها محاصرة ويقع بوش في كماشة الخيارات الصعبة ويفقد هو وفريق حكمه زمام المبادرة في مواجهة المقاومة الصلبة في العراق ولبنان وفلسطين. ولا مفر الآن أمام واشنطن من إعادة النظر بشكل كلي في استراتيجياتها وعلاقاتها في المنطقة لتحويل إخفاقها إلى نجاح إذ أن لغة التهديد والضغوط لم تعد تجدي نفعا حين يبدو للجميع أن أمريكا تبحث عن مخرج من ورطة لا تظهر في الأفق القريب بشائر للخروج منها.

يتفق المراقبون أن أولى ركائز استراتيجية النجاة هي احتواء الحالة الفلسطينية بشكل متوازن من خلال ممارسة ضغوط على إسرائيل لتقديم تنازلات مرضية للأطراف الفلسطينية بما في ذلك حماس، حيث تزداد القناعة لدى معارضي سياسة بوش الخارجية في الدوائر الأمريكية إلى الارتباط الوثيق بين التحديات التي تواجه الولايات المتحدة في المنطقة وبين النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، يضاف إلى ذلك القناعة بأن تقاعس البيت الأبيض عن تأييده إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وانحيازه الكامل لسياسة التدمير والقتل الإسرائيلية إنعكست سلبا على الأمن الإسرائيلي ودفعت بخصم عنيد إلى سدة الحكم الفلسطيني في حين كانت هناك فرصة، بحسب محللين، لتقديم تنازلات للسلطة الفلسطينية ممثلة في الرئيس عباس كان من الممكن أن تمنع وصول حماس إلى الحكم وما تبع ذلك من تطورات أقلقت الغرب والحليف الإسرائيلي، وهذا ما يخطط له الآن أمريكيا وإسرائيليا: دعم عباس وإضعاف حماس، وفي هذا السياق عقد لقاء أولمرت ـ عباس وما تبعه من إفراج عن بعض ما تحتفظ به تل أبيب من أموال فلسطينية. الركيزة الثانية تتمثل في التخلي عن فكرة عزل إيران وسورية وإضعافهما سياسيا من خلال تجريدهما مما تتمتعان به من قدرات عسكرية (المشروع النووي والصواريخ البالستية) ونفوذ داخل بؤر التوتر في المنطقة. وبالجملة، تخلي واشنطن عن سياسة التفرد والهيمنة طوعا ووفق سيناريو متفق عليه مع القوى الصاعدة في أوربا وآسيا وإلا فإن فاتورة الدفع قد تكون أكبر من ذلك بكثير.

* كاتب ليبي مقيم في لندن

ماذا يجري في بغداد وقطاع غزة؟

د. محمد صالح المسفر

■ ليس من مسوغ أخلاقي أو سياسي يجعل العرب يتجاهلون ما يحدث في هذين القطرين العراق وفلسطين وما يحيق بأهلنا هناك، وليس من قبيل الصدفة أن ما لحق بالعراق من خراب ودمار واحتلال إنما يعود إلى، جانب عوامل أخرى، إلى موقف العراق المؤيد للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ودليل ذلك أن آخر كلمات الشهيد صدام حسين «عاش العراق، عاشت فلسطين عربية حرة» هذه كلمات الزعيم الخالد صدام حسين وهو يسير نحو المشنقة التي نصبها له الخونة والعملاء.

المؤلم والمحزن لكل عربي حر أن الشعب الأمريكي بكامل اتجاهاته السياسية والفكرية يسير المسيرات الشعبية في معظم مدن الولايات المتحدة الأمريكية والى جانب ذلك، التجمع الجماهيري والذي تقدره وسائل الأعلام الأمريكية بعشرات الآلاف من المواطنين الأمريكان أحاطوا بمجلس الكونغرس معبرين عن احتجاجهم ورفضهم للحرب والمطالبة بسحب الجيش الأمريكي من العراق، بينما الشعب العربي في كل عواصم العرب صامت بلا حراك وكأن ما يجري في العراق لا يهم هذه الأمة حكاما ومحكومين.

الهيئة التشريعية في أمريكا ومؤسسات المجتمع المدني تطالب بالانسحاب وترفض استراتيجية الرئيس بوش في شأن العراق بينما عرب النفط وعرب الحاجة تبنوا خطط بوش وتعهدوا بالتعاون من اجل انجاحها.

حقا لقد بدأ المالكي «رئيس الوزراء العراقي» بتنفيذ استراتيجية الرئيس بوش وكان أولها مضاعفة هجومه العسكري بكل أنواع الأسلحة على معظم أحياء بغداد التي تكون الغالبية السكانية منها من أتباع المذهب السني ونقطة البدء كانت شارع حيفا والان تعد الخطة لحرب ابادة في الانبار والتي أغلبية سكانها من أهل السنة والجماعة. في الوقت الذي يعمل الحكيم وعصابته المجرمة على ترحيل قيادات فيلق بدر الصفوي وكذلك انكشارية جيش المهدي من الصفويين إلى طهران حماية لهم من الجيش الأمريكي وذلك بموجب تعميم سري بتوقيع نوري المالكي ويتضمن ذلك التعميم 11 اسما من قياديي حزب الدعوة الذي شكله شاه إيران من أجل النيل من العراق قبل سقوطه وكذلك فيلق بدر الذي شكلته ورعته المخابرات الإيرانية.

الرئيس بوش الابن أصدر أوامره للجيش الأمريكي في العراق بالاعتقال أو قتل عملاء إيران في بلاد الرافدين، وسؤالنا للسيد بوش هل يعلم أن عملاء إيران في العراق هم العصابة التي تحكم العراق اليوم برئاسة المالكي ومن قبله الحكومات التي نصبتها قوات الاحتلال وكذلك الشرطة والجيش اللذان شكلا حديثا بعد الاحتلال باعتراف القيادة البريطانية في العراق؟

وسؤالنا للقيادات العربية المعروفة هذه الأيام بالقادة المعتدلين ((6 + 2 الم تبلغوا حليفكم بوش الابن بان عملاء إيران هم في صلب هرم السلطة السياسية في بغداد وبإزالتهم يستقر الأمن والسلام في ربوع العراق بل في المنطقة كاملة.

(2)

سألت صديقا من فلسطين عبر الهاتف: قل لي بربك ماذا يجري عندكم ؟ ألا تستحون مما تفعلون بأنفسكم وبشعبكم ؟ قال ما يجري بكل اختصار: حرب بين اتجاهين، اتجاه له مصالح ذاتية وطموحات شخصية في غياب قيادات تاريخية وهذا الاتجاه يلقى تأييدا كاملا من بعض الدول العربية وإسرائيل وأمريكا يتلقى هذا الاتجاه أموالا وسلاحا ووسائل إعلام ووعودا بتحقيق طموحات محدثي النعمة من حركة فتح، أي فتح الجديدة. قلت لمحدثي: أربعين قتيلا من خيرة الشباب الفلسطيني، الم يكن من الأحسن والأجدى أن يكونوا قضوا وهم يؤدون الواجب الوطني دفاعا عن فلسطين من هجمة الصهاينة على أهلكم ووطنكم. قال: أصحاب هذا الاتجاه لا يهمهم وطن ولا يهمهم شعب، يهمهم أن يكونوا في الصدارة ولو على جماجم الشعب الفلسطيني المجاهد، قال صاحبي: انه يوجد في حركة فتح اختراق صهيوني كلما توصلت قيادتا فتح وحماس إلى اتفاق سرعان ما ينقضه أولئك في داخل فتح وهم مجموعة الخمسة عشر المعروفين والذين لا يستطيعون الحياة بلا سلطة بعد أن فشلوا في الانتخابات التشريعية التي أتت بحركة حماس.

وراح محدثي يقول أما الاتجاه الآخر فهو وطني إلى ابعد الحدود ونظيف اليد عف اللسان همه تحقيق الهدف الحقيقي للشعب الفلسطيني وهو إقامة الدولة المستقلة وعاصمتها مدينة القدس وعودة اللاجئين وإزالة المستوطنات لكن هذا الاتجاه تنقصه المرونة السياسية وعدم ممارسة «التقية» في السياسة.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 ـ 741 ـ 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 ـ 741 ـ 0208 أو 7637 ـ 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 723152
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN